

الشباب في أمريكا

حركته وتربيته وحياته السياسية

ومقارنته بالشباب في أوروبا

بقلم إبراهيم إبراهيم يوسف

لا نستطيع أن نفهم النزعة الجديدة التي تملكأت أفتدة أبناء الجيل الحديث في الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا إذا فهمنا قبل كل شيء الفوارق الرئيسية بين الحركة العامة للشباب في أوروبا ومثيلها في أمريكا . وأول ما يلفت النظر عدم اهتمام الشباب الأمريكي اهتماماً جدياً بالروحانيات والاجتماعيات ، بينما نجد زملاءهم في أوروبا على عكس ذلك . كذلك هم لا يعرفون التكالب على الدرس بنفس النهم الذي نجده عند الشباب الأوروبيين . والواقع أن أمريكا رغم ما لها من تنوع في الآداب لا تعرف حتى الساعة ما يسمى « بثورة الشباب » كذلك التي عرفناها لشباب الألمان مثلاً نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وقد تكون التقاليد الاجتماعية التي توارثها الشباب الأمريكي عن سلفه والتي يرعاها كل الرعاية سيكاً ، إذا ما أضيف إليها مركز الشباب الاقتصادي ، يحول بينه وبين تحمل عبء مسئوليات جسام . وركن الشباب إلى تلك التقاليد وراح يحافظ عليها فتجلت في حياته السياسية ، ثم سرعان ما انتقلت المدوى بعد ذلك إلى كل ميدان من ميادين حياة الشباب . ورسخت هذه التقاليد في النفوس بدلاً من أن يتم التعاون على مقاومتها لتتلاشى . فمثلاً بينما كان الشباب الألماني منذ ثلاثين سنة يشور على سلطة العائلة وسلطة المدرسة ولا يأبه بسلطان الدولة ولا بسلطان الكنيسة ، كان الشباب الأمريكي ينزع في نفس الوقت إلى انتهاج ما تار عليه زعيمه الأوروبي ، وكان مما لا بد منه أن تنبذ أمريكا آراء أوروبا وطرقها في تربية النشء وتبحث لها عن أسس جديدة ، فاهتدت إلى جعل الدراسة العلمية في المرتبة الثانية من منهج التعليم . وما هي إلا سنوات حتى استوفى رجال التربية والتعليم في أمريكا من أن النظريات والعمليات التي سار عليها زملاؤهم في أوروبا لم تعد صالحة للعالم الجديد ، فاستعانوا عن « القولين العامة »

في علم النفس بفكرة رعاية الشباب وتهذيبه عملياً . وهم يتبعون في ذلك رأي زعيم التربية الحديثة في أمريكا السترون ديوى الذي تعتبر آراؤه إلهاماً للربين الأمريكيين . وخلاصة آرائه : أن العلم والمعرفة يجب أن يتزعا من الحياة ، وأن لا علم إلا إذا جاء عن طريق ممارسة العمل ومزاولة الأمور العملية . وهذه الأسس هي التي يعبر عنها « بطريق الشروع » القائمة في علم النفس على « المحاولة والخطأ » . وقد هزأ الأوروبيون بهذه النظريات العملية ، وهذا النوع من التربية . ولكنهم يفسون أن تربية النشء وفق هذه الأصول تكون عندهم قوة الإرادة وصحة الحكم على الأشياء . ومن أهم المبادئ المعمول بها في أمريكا لتربية النشء اعتبار الشباب وفرديته في مرتبة لا تقل عن مقام المعلم وعلمه . وكثيراً ما ينشئ علماء التربية الأمريكيون على زملائهم في أوروبا التسرع في الحكم بأن الطفل له شخصية أقل خطراً من شخصية الرجل المكتمل الرجولة . ولكن علماء التربية الأوروبيين يقولون هم الآخرون بأن الآراء الأمريكية تحوى جرثومة تهدد نظام التربية والتعليم من أساسه ، كما أن تلك الآراء تعمل على إضعاف مركز المربي في نظر النشء وإضعاف الثقة به . ولكن الأمريكيين يقولون إن المسألة عكس ذلك تماماً . ثم إذا نظرنا إلى المدارس الأمريكية على اختلاف أنواعها ، ولاحظنا تباين الأعمار في الفصول ، حكمتنا بأن النظام كما يفهمه الأوروبيون ليس له أثر ملموس في هذه المدارس . وكثيراً ما قال المربون الأوروبيون عند أول مشاهداتهم للشباب الأمريكي : « يا لها من فوضى ! » إذ يجدون الطلبة هنالك يتوجهون بكلياتهم إلى شخص الأستاذ ، أما اهتمامهم بدريسه فأمر ثانوى ليسهم . ولهذا نجد بين الأساتذة والطلبة علاقة ألفة قد تبدو أشبه بالصدقة التي يضيع معها كل نظام ، ولعل السر الذي يفسر لنا تلك الألفة هو أن ٩٠٪ من مجموع المعلمين في المدارس الأولية والابتدائية والثانوية في كافة البلاد الأمريكية نساء . ولا يعوق المعلمة عملها لو أن لها زوجاً وكانت في مقتبل العمر . ثم هنالك ظاهرة غريبة أخرى قد لا نجد لها مثيلاً في أى بلد أوروبى ، تلك هي اعتبار المدرسة والكلية مزرعة يتمهد فيها المدرسون بتربية الألفة والصدقة بين كل أفراد الشباب ، ولا زالت الكليات الأمريكية رغم ما وجه إليها من نقد محافظة كل المحافظة على حياة الأخوة بين الطلاب ، مانعة كل النع تسرب دخلاء إلى [البقية في ذيل الصفحة التالية]